الرياضة والدين: تحليل من منظور سوسيولوجي
Sports and Religion An Analysis from a Sociological perspective

عبد الإله فرح، باحث في علم الاجتماع، الجمعية المغربية لعلم الاجتماع-المغرب

ملخص: تهدف هذه المقالة إلى فهم العلاقة السوسيولوجية التي تربط كل من "الرياضة" Sport و"الدين"Religion ، من خلال تحديد الوضع الديني للرياضة ومناقشة الرياضة كمؤسسة دينية تسعى بدورها إلى تعزيز الهوية الدينية والمدنية عند الأفراد من خلال الكشف عن التعبيرات الثقافية ذات البعد الديني التي تفرزها الرياضة، حيث سوف نستخدم مصطلح "الرياضة" للدلالة على بعض المظاهر والممارسات التي لها علاقة بالمجال الديني.

الكلمات المفتاحية: الدين، الرياضة، الدين المدني.

Abstract: This article examines the relationship between sport and religion by defining the religious status of sport, and discussing sport as a religious institution that seeks to enhance the religious and civil identity of individuals by revealing cultural expressions of a religious dimension. The term "sport" is used to denote certain aspects of religious practice.

Keywords: Religion, Sport, Civil Religion**.**

مقدمة:

ترى السوسيولوجيا أن "الرياضة" تحمل الكثير من المعتقدات والقيم التي تؤثر في إدراك الناس للعالم وكيفية التصرف فيه، فهي عبارة عن مؤسسة اجتماعية على غرار باقي المؤسسات الاجتماعية الكبرى، وترتبط في الوقت الراهن بالعديد من المجالات مثل السياسة والاقتصاد والإعلام والدين، ومن أدوار الرياضة أنها تساهم في بناء شخصية الفرد وتهذيبها على مستوى النفسي والاجتماعي، وتجسد الحماس والانسجام بين الأفراد الذين يمارسونها، كما أنها غنية بالمدلولات الاجتماعية والثقافية والفنية، وعامل مساعد في عملية انتقال العادات والتقاليد والأعراف بين الأجيال.

وتتميز السوسيولوجيا عن غيرها من العلوم الاجتماعية بأنها تدرس الأفراد والجماعات والمؤسسات التي تهتم بالرياضة، فهي تركز في دراستها على الفاعلين الذين ينتمون إلى هذه المؤسسات، والذين يشاركون في الألعاب والمسابقات الرياضية، فضلا عن علاقاتهم خارج هذه المؤسسات مثل علاقتهم بالمشجعين والجماهير التي تتابع المسابقات والبطولات الرياضية، إضافة إلى دراسة المؤسسات الإعلامية والاقتصادية وغيرها من المؤسسات المهتمة أو التي لها علاقة بالشأن الرياضي.

وإذا كانت السوسيولوجيا في حد ذاتها، تؤكد بأن الرياضة أصبحت ظاهرة اجتماعية عالمية، يمكن استخدامها كمنصة لتحقيق العديد من الأهداف الاجتماعية وحل عدد من القضايا الاجتماعية، نظرا لأنها حاملة لكثير من المعتقدات والقيم والاتجاهات الإيجابية التي لها علاقة بالقيم الاجتماعية والدينية، والتي تجعل منها تقوم بمقام المؤسسات الاجتماعية الأخرى مثل الدين.

في هذه المقالة، سوف نحاول البحث في العلاقة التي تربط بين "الرياضة" و"الدين"، من أجل الكشف عن التعبيرات الثقافية ذات البعد الديني التي تفرزها الرياضة كمؤسسة دينية، حيث سوف نستخدم مصطلح "الرياضة" للدلالة على بعض المظاهر والممارسات التي لها علاقة بالمجال الديني. ومن ثم، فإن تناول العلاقة بين الرياضة والدين قد يكشف لنا عن السبل التي تساهم فيها الرياضة في إنتاج ثقافة دينية في سياق اجتماعي.

أولا. حول سوسيولوجيا الرياضة:

يعود تاريخ الاهتمام بالرياضة كموضوع للتفكير والدراسة إلى الأعمال الأولى ذات الطابع الاجتماعي في القرنين الماضيين (19 و20). وهي أعمال تبقى مهمة بالنسبة إلى المشتغلين في الحقل السوسيولوجي كونها توفر لهم مجموعة من التحليلات التي لها علاقة بأنماط السلوك والممارسات الثقافية الخاصة بالرياضة، ومن بين الأعمال التي درست موضوع الرياضة: نجد في الولايات المتحدة الأمريكية كتاب "العادات الشعبية" Folkwayes لصاحبه "ويليام سمنر" William Sumner الذي كرس في مؤلفه فصلا بعنوان "الرياضة الشعبية والمعارض والدراما" سنة 1907، وكتاب "الرياضة الأمريكية" American Sports لكاتبه "جيني هولمان" Jennie Holliman الذي صدر في سنة 1931، وهو كتاب يتحدث عن الفترة التي عرفتها الحياة الرياضية لدى المجتمع الأمريكي ما بين (1785 - 1835)، ثم كتاب "الأميركيين في اللعب" Americans at Play للكاتب "جيس ستاينر" Jesse Steiner الذي صدر في سنة 1933. بينما في ألمانيا فإن أول كتاب سوسيولوجي اهتم بموضوع الرياضة هو "علم الاجتماع الرياضي" Soziologie des Sports للسوسيولوجي الألماني "هاينز ريس" Heinz Risse، حيث صدر الكتاب لأول مرة في سنة 1921، و بعد مرور خمسة عقود تم إعادة طبعه في سنة 1979، وهو كتاب يعبر عن وجهة نظر الباحث حول الأنشطة والحركات الرياضية التي يمارسها المجتمع الألماني.

في فرنسا، فإن هذا التخصص المعرفي لم يعرف اهتماما كبيرا إلا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، كما أن الكتابات السائدة في ذلك الوقت كانت متأثرة بالمدرسة الأمريكية، وكانت تتميز بأنها تهتم بقضايا الشباب مثل التنشئة الاجتماعية، التربية البدنية، ممارسة الألعاب الشعبية، إلخ. وتمثل مرحلة الستينات من أهم المراحل في تاريخ السوسيولوجيا الفرنسية، حيث كانت تلك المرحلة تعتبر «حافزا جديدا لتطوير سوسيولوجيا الرياضة بفرنسا، وهو ما أدى إلى إضفاء الطابع الفردي على مواضيع البحث والرغبة في تطوير الدراسات الاستقصائية التجريبية» (Jean-Paul Callède , 2010, P14-17). ومن أهم علماء الاجتماع بفرنسا الذين اهتموا بموضوع الرياضة، نجد "جوفري دومازيدير" Joffre Dumazedier في كتابه "وجهات نظر جديدة حول الرياضة" Regards neufs sur le sport، الذي صدر في سنة 1950، و"جورج ماغنان" Georges Magnane الذي أصدر مؤلفا في سنة 1964 بعنوان "سوسيولوجيا الرياضة" Sociologie du sport.

كما تمثل مرحلة الستينات من القرن الماضي بداية التفكير في تأسيس منظمات علمية متخصصة في مجال الرياضة والتربية البدنية. حيث تم في سنة 1964 تشكيل لجنة دولية تضم مجموعة من الأفراد المختصين في مجال التربية البدنية وعلم الاجتماع، نظرا للتطور الإيجابي الذي حققه "المجلس الدولي لعلوم الرياضة والتربية البدنية" International Council of Physical Education Sport Science and الذي تأسس في مدينة باريس بفرنسا سنة 1958. وقد أصبحت هذه اللجنة تابعة "للرابطة الدولية لعلم الاجتماع الرياضي" Association International Sociology of Sport التي تأسست في سنة 1965، وعقدت أول مؤتمر لها في سنة 1966 في مدينة كولون بألمانيا، وأسست هذه اللجنة بعدها مجلة "Review for the Sociology of Sport International" بالتعاون مع الرابطة الدولية لعلم الاجتماع الرياضي ISSA . ثم توالت بعد هذه الأحداث "الجهود المشتركة في سبيل إرساء أسس نظرية وإمبريقية لعلم اجتماع الرياضة كمبحث فرعي لعلوم التربية البدنية على أيدي "لوشن ويز" Luschen Weis 1974، بول لوي Baul loy 1975، "بارتون وزملائه" Bartton et al 1978 - 1979، "إيتزن سيج" Eitzen Sage 1078، "لوي ماكفرستون كنيون" Loy Mcpherson Kenyon، "سنايدر سبريتز" Snyder Spreitzer 1978، إذ كان الاتجاه العام في التنظير يعمد إلى مدخل النظام الأكاديمي الواحد حيث يتم تحليل مختلف جوانب الرياضة ومظاهرها في ضوء نظريات علم الاجتماع ومباحثه، وتحت ظروف البحث الاجتماعي الإمبريقي وشروطه "(أمين أنور الخولي، 1996، ص10).

تشكل سنوات السبعينات من القرن العشرين مرحلة مهمة اكتسبت فيها سوسيولوجيا الرياضة اهتماما كبيرا من طرف علماء الاجتماع بالقارة الشمالية لأمريكا، وذلك بسبب الكم الغزير الذي أنتج حول موضوع الرياضة، والتي دفعت العديد من علماء الاجتماع إلى الإقرار بأن الرياضة ظاهرة اجتماعية وثقافية ومجالا مهما للدراسة العلمية، باعتبارها متداخلة مع البنيات والنظم الاجتماعية. وهذا ما دفع إلى تأسيس جمعية متخصصة بالولايات المتحدة الأمريكية وهي "جمعية أمريكا الشمالية لسوسيولوجيا الرياضة" North American Society of Sport Sociology في سنة 1978 بهدف دراسة هذا النوع من الظواهر التي ترتبط بالمجتمع، وقد عملت هذه الجمعية في سنة 1984 بإنشاء مجلة متخصصة التي تتمثل في "مجلة سوسيولوجيا الرياضة"Sociology of Sport Journal.

من هنا، فإن المرحلة الممتدة ما بين (1950 - 1980) من القرن الماضي، تشكل البداية الفعلية في بروز سوسيولوجيا الرياضة كحقل معرفي جديد ضمن علم الاجتماع العام. إذ أنه في

هذه المرحلة بالذات، يلاحظ ظهور مجموعة من الأعمال التي تدعو إلى إجراء تحليل اجتماعي منهجي للرياضة، من أجل تطوير مجال أكاديمي متخصص يهتم بدراسة الممارسات الاجتماعية والثقافية التي لها ارتباط وثيق بمجال الرياضة، ومن بين الجهود العلمية التي ظهرت من أجل تحليل الرياضة من منظور سوسيولوجي وأنثروبولوجي، نجد العمل الذي قدمه "فريديريك كوزنس" Frederick Cozens و"فلورنس ستومبف"Florence Stumpf سنة 1953 بعنوان "الرياضة في الحياة الأمريكية"Sports in American Life بالإضافة إلى العمل الذي أنجزه "أليكس ناتان" Alex Natan بعنوان "الرياضة والمجتمع" Sport and Societyفي سنة 1958. وقد ظهر خلال هذه الفترة أيضا بعض الدراسات التي ترتكز على أنشطة محددة من الرياضة مثل الدراسة التي أنجزها "ديفيد ريسمان" David Riesman و"راويل ديني" Reuel Denney سنة 1951 بعنوان "كرة القدم في أمريكا: دراسة في نشر الثقافة" Football in America: A Study in Culture Diffusion، وتلتها بعض الدراسات التي اشتغلت على الطبقات الاجتماعية مثل الدراسة التي قدمها "لوشن غوندر" Lüschen Günther بعنوان "الطبقة الاجتماعية والتنقل الاجتماعي بين الشباب الرياضيين" Social Stratification and Social Mobility among Young Sportsmen في سنة 1969، وأعمال "بيير بورديو" Pierre Bourdieu التي أنجزها في بداية السبعينات وأواخر الثمانينات من منطلق شرح الاختلافات بين الأذواق الرياضية لدى النبلاء(Jean-Paul Callède, 2010, P14-17).

يمكن القول إن هذه المرحلة التي نتجت عن كم غزير من الدراسات والأبحاث في مجال سوسيولوجيا الرياضة، قد ساهمت بشكل كبير في ارتفاع عدد المهتمين بها من طرف علماء الاجتماع وطلاب الدراسات العليا، كما شهدت هذه المرحلة اهتماما بهذا الفرع الجديد من طرف المنظمات الرياضية والمهنية، وخاصة مع محترفي التربية البدنية وعامة الناس، والأهم من ذلك، مع وسائل الإعلام الجماهيرية.

ثانيا. الرياضة من منظور اجتماعي:

تعتبر الرياضة رافدا تراثيا لا يتجزأ من الموروث المشترك بين المجتمعات الإنسانية، فالرياضة هي ظاهرة اجتماعية وثقافية يعود تاريخ نشأتها لآلاف السنين، فقد عرفت تغيرا اجتماعي بفعل تقدم وتطور المجتمعات الإنسانية، وهو الشيء الذي سمح لها أن تكون في عصرنا الراهن أحد المكونات الأساسية للتراث الثقافي الإنساني، وتتميز الرياضة بالتنوع والتعدد في طبيعة أشكالها وأنماطها، فهناك أنشطة رياضية ترتكز على الذكاء مثل لعبة الشطرنج، وأنشطة رياضية تتميز بالعنف والخشونة مثل المصارعة والملاكمة وكرة القدم، إلخ.

تتميز الرياضة بأنها تتطلب الجهد والوقت والطاقة، وتهدف إلى الرفع من مستوى قدرات الإنسان وتحريره، وكما يقول عنها "هوارد سلشر" Howard Slusher: «أكثر من مجرد ما يفعله في أوقات فراغه؛ إنها أكثر من مجرد هروب من الحياة اليومية. وبالتأكيد إنها أكثر من مجرد وسيلة مرغوبة اجتماعيا للإفراج عن ضغوطات المرء»(Howard Slusher, 1967, P4).

وتتأسس الرياضة على مبدأ "اللعب" Play الذي يمثل جوهر الأنشطة الرياضة التي يمارسها الأفراد، وهذا الفعل "اللعب" هو عمل يسعى من خلاله الفرد إلى تحقيق المنفعة الذاتية مثل المتعة والمرح وقضاء لحظات متميزة في أوقات الفراغ. علما أن اللعب لا يعكس لنا فقط رغبات سيكولوجية أو فيزيولوجية، وإنما أيضا يعكس ما هو اجتماعي وثقافي بالدرجة الأولى، فاللعب «يشجع على تشكيل التجمعات البشرية التي تميل إلى أن تحيط نفسها بالسرية والتأكيد على

اختلافها عن العالم المشترك من خلال التمويه أو وسائل أخرى»(James Mathisen, 2006, P287).

كما أن الرياضة تحمل العديد من العواطف المتنوعة، مثل الاحترام، التقدير، المحبة، الإخلاص، التضحية، القوة، اليأس، الضعف، الفرح، الحزن، القلق وغيرها، الأمر الذي يدل على أنها أكثر من مجرد ممارسة للألعاب الرياضية، فهي عبارة عن مجال محمل بالمشاعر والأحاسيس السلبية والإيجابية معا، والتي لها ارتباط وثيق بالظروف التي يعيشها الأفراد في حياتهم اليومية.

إن الرياضة هي نشاط فردي واجتماعي، و«هي أكثر من مجرد علاقة مع الحياة، بل هي جانب حيوي من الوجود»(Howard Slusher, 1967, P8)، فهي أحد أهم المتطلبات الحقيقية للمجتمع، وتعد انعكاسا لذاكرته، لأنها تعبر عن وجوده الاجتماعي والثقافي، وعاملا مهما في تفوقه. فالمنجزات المتعلقة بالأنشطة الرياضية في المسابقات الوطنية والدولية «تعد أحد المؤشرات العامة التي يحكم من خلالها على مستوى التقدم الاجتماعي والثقافي لمجتمع ما، فالرياضة ظاهرة اجتماعية ثقافية متداخلة بشكل عضوي في نظام الكيانات والبنى الاجتماعية، كما أن التقدم والرقي الرياضي يتوقف على المعطيات والعوامل الاجتماعية السائدة في المجتمع»(أمين أنور الخولي، 1996، ص8).

ومن هنا، أصبحت الرياضة نشاطا شائعا في أوقات الفراغ عند الأفراد، وفي معظم بلدان العالم، فمعظم الأنشطة الرياضية تتم في ناد رياضي أو ضمن المناهج الدراسية أو خارج المدرسة. فالرياضة بكل أنواعها تمثل أحد أهم المجالات التي يتم استحضارها في المحادثات اليومية بين الأفراد.

ثالثا. حول مفهوم الدين:

في هذه المقالة، يجب علينا تحديد تعريف مناسب لمصطلح الدين، علما أنه من الصعب للغاية أن نقدم أي تعريف الدين، على الرغم من أن العلماء والباحثين في الدراسات الدينية يحاولون باستمرار تعريفه ووصفه، بالإضافة إلى ذلك، فإن الحجج والمناقشات والتعريفات للمصطلح لا حصر لها، ونتيجة لذلك، لم يتفق العلماء والباحثين على تعريف موحد للدين، ومع ذلك، لا يمكن تعريف الدين إلا من خلال الخصائص التي يتم العثور عليها أينما وجد الدين نفسه.

تتميز المؤسسات الاجتماعية في المجتمعات الحديثة بأنها عقلانية، حيث يتم من خلالها تنظيم المجتمع بطريقة عملية. ومن جانب آخر، يلاحظ أن المعتقدات الدينية تسيطر كثيرا على حياة معظم الناس لكونها تعد مصدرا لتفسير الكون والحياة والوجود الاجتماعي. وعلى هذا النحو، فإن الدين لا يزال مؤسسة هامة في بعض المجتمعات الحديثة، ولا يستند التفسير الديني لدى معظم الناس إلى العلم التجريبي، فهو يقوم على نظام من المعتقدات التي يؤمن بها أتباع الديانة، ومفهوم الإيمان هنا، يقصد به الاقتناع باليقين في أشياء محددة دون إعطاء دليل على حقيقتها أو وجودها. وأغلب الديانات نجدها ترتكز على الإيمان وعلى المثل والقيم العليا التي يجب أن يلتزم بها أتباع الديانة، وعلاوة على ذلك، فإن مفهوم الدين له عدة وظائف، وقد أورد الأنثروبولوجي "كلود ريفيير" Cloude Rivière مجموعة من الوظائف الأساسية للدين تتمثل فيما يلي (كلود ريفيير، 2015، ص37):

شارح، فهو يخفف من وطأة معرفة تجريبية لها أوجه نقصها.

منظم، بسبب النظام الذي يفترضه ويهدف إلى الحماية في الكون.

مؤمن، يقلل الشعور بالخوف والتوتر النفسي إلى المستوى الذي يمكن احتماله بفضل الإيمان والأمل في العدل.

متكامل، لفاعليته كآلية تحكم اجتماعية، ولارتباطه ليس فقط بأخلاق الاحترام والجزاء، ولكن لأنه أيضا أساس وحدة شعور المؤمنين.

وتهدف وظائف الدين عموما إلى إعطاء المعنى الحقيقي للوجود وتقديم المساعدة للفرد من أجل تحقيق الروحانية لدى الفرد، وتعزيز قيمته الفردية والاجتماعية. وهذا ما يؤكده "كلود ريفيير" بقوله أن «الدين يلعب دورا ملحوظا وحقيقيا في مساعدة الإنسان على منح الوئام لوجوده»(كلود ريفيير، 2015، ص38)، كما يستخدم لدى الإنسان للتعبير عن أفكاره السياسية والاقتصادية والعلاقات الإنسانية، ولعل أهم ما يجب أن ننتبه إليه حول الدين، أنه يختلف من حيث التوجه والعقيدة بسبب تعدد الأديان وانقسامها إلى أديان سماوية وأديان وضعية، غير أن ما يميز أتباع الديانة هو شعورهم بوحدة المجتمع على أساس وحدة معتقداتهم الدينية. فالدين كما يراه إميل دوركهايم Durkheim. E في كتابه "الأشكال الأولية للحياة الدينية" هو مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء، تضم أتباعها في وحدة معنوية واحدة تسمى الملة. وبالتالي، يمكن اعتبار الدين بأنه يدل على وحدة المجتمع وانسجامه على مستوى المعايير والقيم والعادات والطقوس والذاكرة الاجتماعية، بحيث يتم استخدامه كوسيلة من أجل التعريف بهوية المجتمع.

رابعا. الرياضة والدين المدني:

من الأمور الواضحة في الأدبيات الحديثة التي تدرس العلاقة بين الرياضة والدين، هي الطريقة التي تطورت بها هذه العلاقة مع مرور الوقت، وكيف أصبحت الرياضة كمؤسسة اجتماعية متداخلة مع المحيط الخاص بالدين بسبب القيم التي تساهم في إنتاجها وإعادة إنتاجها، مما يدل على أن الرياضة لا توجد في فراغ اجتماعي منعزل، بل أصبحت تتطور وفقا لمجموعة من الممارسات الثقافية والتاريخية في الوقت نفسه، الشيء الذي سمح لها أن تندمج في نسيج الحياة اليومية وتلعب دورا مهما حتى في المجال الديني.

تحدث الأنشطة الرياضية في مواقع منفصلة، يتم لعبها بواسطة أفراد يتبعون مجموعة محددة من القواعد والقوانين التي تقوم على مقاييس تعتبر فيها الانتصارات والخسائر أهم النتائج النهائية، فعلى السطح، قد يبدو أن الحقائق الملموسة للرياضة هي بالأحرى دنيوية، غير أنه بالنسبة لكثير من علماء الاجتماع، فإن تلك الحركات البدنية تتغذى على عوالم مبنية بعناية من القصص الأسطورية والرموز القوية والطقوس الوافرة التي لها علاقة بالدين.

يمكن اعتبار كلا من الرياضة والدين مؤسسة اجتماعية مستقلة بذاتها، ويرجع السبب في أن كل منهما يمتلك أسسا فلسفية متباينة ومختلفة. ومع ذلك، فإن لكل منهما نقاط مشتركة متشابهة ومتصلة. فكلاهما لديهما الكثير من الأتباع، ويمتلكان معا طقوسا معينة، وكل منهما له وقت ومكان محدد لأداء تلك الطقوس، وبينهما خيط رابط يجمعهما من حيث التمثلات والتصورات التي يحملها المجتمع في ذهنه، خصوصا عندما يعتبر أن النماذج الناجحة والمشهورة في الحياة الرياضية إنما تدل على الموهبة الإلهية، وأن الفوز والانتصار في لعبة رياضية هو في النهاية نتيجة للتدخل الإلهي، و«يؤكد "لوشن" Luschen على أنه بالإمكان التأكيد على هذه العلاقة منذ قدم الأزل من خلال حضارة المايا القديمة في أمريكا الوسطى. ولقد تمثلت هذه العلاقة في ألعاب الكرة والتي كان لها مغزى ديني ميثولوجي كأحد أشكال الطقوس المتصلة بالعقيدة الدينية لشعب المايا»(أمين أنور الخولي، 1996، ص139-140).

لقد شهدت المجتمعات الغربية في أواخر القرن الماضي، تداخلا كبيرا في المهام والوظائف بين المؤسسات الاجتماعية، خصوصا بين الرياضة والدين في ظل ظروف انتشار العلمانية في المجتمعات القائمة على النظام الرأسمالي، بسبب اتساع دائرة العولمة وتحرير السوق وانتشار وسائل الإعلام والاتصال، وكما يقول "ديفيد يامان وآخرون" David and others

Yamane «لم يعد يوجد ببساطة تقسيم للوظائف بين مختلف المؤسسات، وبدلا من ذلك، يمكن للمؤسسات أن تتداخل أو حتى تتنافس في أداء مهام مختلفة. فعلى سبيل المثال، كان الدين تاريخيا عاملا مؤسسيا أساسيا للتنشئة الاجتماعية حول قيم مجتمعية، اليوم، كثير من الناس في المجتمع الأمريكي يبحثون عن الرياضة لغرس القيم»(David Yamane&Charles E Mellies&Teresa Blake (2010), P85) التي تمثل مجموعة من الأخلاقيات التي هدفها هو الضبط الاجتماعي وتنظيم سلوك المجتمع.

ومن المعلوم عن دوركهايم أنه قد سبق له التأكيد أن الدين يلعب وظيفة مهمة في المجتمع، تساعد على تعزيز الشعور بالتماسك الاجتماعي. غير أنه، في عصر تسود فيه العلمانية في العالم الغربي، حيث لم تعد المؤسسات الدينية تتمتع بنفس التأثير الاجتماعي كما في الماضي، فإن ذلك يطرح بعض الأسئلة حول إمكانية رؤية الأديان الحديثة تقوم بدورها. ومع ذلك، فإن انتشار العلمانية في العالم الغربي وقدرتها على التأثير في المجال العام، «لا تشير إلى أن المعتقدات الدينية لم تعد مهمة لعدد كبير من الناس، ولكن بالنسبة للكثيرين تم استبدالها بأشكال أخرى من المعرفة مثل تلك التي ينتجها العلم» (Peter Craig&Paul Beedie, 2010, P23).

ربما لا يزال تأكيد إميل دوركهايم حول دور الدين في المجتمع صحيحا، حتى في المجتمع الغربي المعاصر، فقط مع إضافة جديدة، تتمثل بالدرجة الأولى في استبدال الأديان الرسمية، مثل المسيحية، بأخرى غير رسمية، لا سيما الأديان المدنية مثل الرياضة. وقد يظهر للبعض أن الرياضة والدين عبارة عن علاقة متناقضة. لكن الواقع شيء آخر، فقد خدمت الرياضة أهداف السلطات الدينية، وكانت عبر تاريخها مشبعة بأخلاق وفلسفة مستمدة من العقيدة الدينية. وفي حالات أخرى، تم رفضها من طرف رجال الدين بسبب قدرتها على صرف الانتباه عن الأنشطة الإلهية. كما تم استخدام الرياضة من طرف المستعمرين في بعض المجتمعات الإفريقية كوسيلة للتبشير المسيحي، وقد كان للرياضة في المجتمعات الأوربية والأمريكية بالخصوص دور في تعزيز الهوية الدينية والمدنية للأفراد.

في الوقت الراهن، ينظر إلى الرياضة على أنها نوع من "الدين المدني"Civil Religion[1] الذي يمكن استخدامه في الحفاظ على النظام الاجتماعي والمساهمة في خلق التضامن الاجتماعي. ففي أوائل التسعينيات، حاولت الدولة الفرنسية اتخاذ تدابير احتياطية من أجل وقف امتداد التطرف الديني الذي كان يميز مجموعة من المهاجرين الذين ينتمون إلى تيار الإسلام الراديكالي عن طريق الرياضة، باعتبارها وسيلة ممتازة قادرة أن تساهم في عملية الاندماج والتوحيد للمكونات الاجتماعية وفي إنتاج الذاكرة الجماعية، وذلك عبر إنشاء مشاريع ذات طابع اجتماعي مثل المراكز الصحية والمرافق الرياضية. فقد «شملت مشاريع الإسكان التي صممها المهندس المعماري "رولاند كاسترو" Roland Castro في إطار خطة (Banlieues 89) مناطق مركزية تضم ملاعب كرة القدم وملاعب كرة السلة، فضلا عن صالات رياضية داخلية خاصة بحلبات الملاكمة» (Paul A.Silverstein, 2002, P44) بهدف الضبط الاجتماعي للمهاجرين، وبالخصوص القادمين من البلدان الإسلامية.

يضاف إلى ذلك أن العديد من الدول الغربية تهتم بالرياضة، لأنها تحتوي على قيم إنسانية وتسعى من خلالها إلى خلق التضامن الاجتماعي، وإذابة الصراعات عبر إشاعة المحبة والسلام

1. يعتبر الفيلسوف جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau أول من استخدم هذا المفهوم في كتابه "العقد الاجتماعي"، وقد أدخله الأمريكي روبرت بلاه Robert Bellah في سوسيولوجيا الدين عام 1960 للدلالة على وحدة المجتمع من حيث القيم على الرغم من تعدد الأديان والأعراق والثقافات.

والروح الرياضية بين أفراد المجتمع. على سبيل المثال، نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية كثيرا ما تستعمل الرياضة كوسيلة في محاربة العنف والتطرف والحفاظ على النظام العام، وهي تعتبر أكثر الدول إنفاقا في المجال الرياضي، حيث تخصص سنويا كل الإمكانيات المادية والبشرية من أجل تنمية الرياضة وإبراز الموروث الشعبي فيها، من خلال تنظيم الأنشطة الرياضة في المناسبات والأعياد الوطنية والدينية. الشيء الذي ربما «دفع بعض العلماء إلى الإشارة أن الرياضة تعمل مثل الدين المدني»(David Yamane&Charles E Mellie.&Teresa Blake, 2010, P86)، لأنها تعد بالنسبة إلى المجتمع الأمريكي تعبيرا عن القيم والرموز المشتركة، إذ أنها تساعد في الحفاظ على تعدد الهويات الثقافية والدينية للمجتمع الأمريكي. فالمشاركة في التجمعات الاجتماعية التي تقوم على الأنشطة والممارسة الرياضية، توفر للأفراد فرصا لتحقيق العلاقة العاطفية مع الآخرين وتسمح بالدفاع عن الهويات الدينية والثقافية.

علاوة على ذلك، فإنه يمكن مقاربة البعد الديني للرياضة من خلال النظرية الماركسية التي ترى أن الدين هو نتاج للمجتمع الطبقي. فمن المعلوم أن الدين يعتبر عند "كارل ماركس" Karl Marx أفيون الشعوب، وأنه وسيلة ممتازة تهدف من خلالها النخب الحاكمة من فرض سيطرتها على المجتمع، وذلك عن طريق إثارة اهتمام الناس في أشياء بعيدة كل البعد عن السياسة، وهذا الأمر تؤكده المدرسة الألمانية فرانكفورت مع "تيودور أدرنو" Theodor W. Adorno و"ماكس هوركايمر" Max Horkheimer وغيرهم حول أدوار المؤسسات الاجتماعية التي تسعى إلى الحفاظ على نظام السلطة السياسية وأجهزتها، وإدخال الناس في دائرة الاستلاب وإلهائهم عن الأشياء المهمة في حياتهم اليومية. على سبيل المثال، فإن الرياضة تعزز الثقافة الاستهلاكية وتقيد حرية الأفراد من خلال انسياقهم وراء المسابقات الرياضية التي تقوم على المراهنات، وهو الشيء الذي يجعل من الرياضة باعتبارها شكل من أشكال الأديان المدنية تعد وسيلة ممتازة لدى النخب الحاكمة في تحقيق الهيمنة على المجتمع.

والمثير للاهتمام هو أن الدين المدني في عالمنا المعاصر، كثيرا ما يسعى إلى العمل على محاكاة خصائص الأديان الرسمية، مثل المسيحية، وذلك من حيث الطقوس والعادات والأعراف والرموز التي يشترك فيها المجتمع من أجل الحفاظ على هويته، ومن هذا المنظور يمكن أن نرى أن الدين المدني للرياضة هو عبارة عن تجسيد لأشكال الثقافة الدينية الخاصة بمجتمع من المجتمعات الإنسانية، فاعتماد الأندية والفرق الرياضية على رموز حيوانية معينة من أجل التعبير عن سماتها، مثل القوة والشجاعة والسرعة والذكاء، واستخدام ما يسمى بجالب الحظ في شعاراتها، كل هذه التعبيرات تذكرنا غالبا بتلك الطواطم التي تستخدم في القبائل لتمثيل الانتماءات الدينية والعشائرية أو القبلية.

هذا وتمثل قيمة "الفردانية" Individuality أحد مظاهر الدين المدني للرياضة، فهي تحتل أهمية كبيرة في المجتمعات الرأسمالية التي تسود فيها العقيدة البروتستانتية، فالنظام الرأسمالي يرتكز على المبادئ القائمة على العمل والإنتاج والفاعلية والإبداع، وهي مبادئ تتأسس على العقيدة الدينية البروتستانتية التي تقدس العمل والعقل وجمع المال وغيرها، وما يميز العقيدة البروتستانتية أنها تشجع الفرد على ممارسة الرياضة لما تحتويه من إيجابيات في تعزيز قدراته العقلية والعملية، وفي هذا الإطار يقول "مارتن لوثر" Martin Luther مؤسس العقيدة البروتستانتية: «إني أعلن تزكيتي للموسيقى، ورياضات الفروسية كالمبارزة والمصارعة وغيرها من ألوان النشاط البدني، فمن خلالها يطرد المرء الهم والحزن عن فؤاده، كما أن الأنشطة البدنية تكسبه تنمية متكاملة لأعضاء الجسم»(أمين أنور الخولي، 1996، ص146)، وهو ما يؤكد أن الرياضة في العقيدة البروتستانتية تلعب دورا مهما في تعزيز قيمة الفردانية، لأنها تعتمد على مبدأ العمل والتنافس والمثابرة بهدف إبراز الذات والاعتراف بها. وهذا ما يؤكده

"دفيد يامان وآخرون" بالقول: «إذا كانت قيمتنا الثقافية المهيمنة هي الفردية التنافسية، يبدو أن الرياضة أكثر ملاءمة لتنشئة الأفراد على هذه القيمة من الدين»(David Yamane&Charles E Mellies&Teresa Blake, 2010, P86). كما يلاحظ في المجتمعات التي يغلب عليها العقيدة البروتستانتية بأنها تتميز بالتفوق في الحياة الرياضية، نظرا لكونها مجتمعات تولي أهمية كبيرة للمؤسسات الرياضة التي تعد مراكز مهمة في الاستثمار الفردي والجماعي وآلية من آليات الارتقاء الاجتماعي، وربما أكثر إثارة للاهتمام هو «الرأي القائل بأن الرياضة نفسها أصبحت بالنسبة للكثيرين شكلا من أشكال الدين»(Peter Craig&Paul Beedie, 2010, P24).

إن الباحثين الذين يدرسون الثقافة الدينية للأنشطة الرياضية ويدافعون عن فكرة أن الرياضة تقوم بمقام الدين المدني، ربما لم يدركوا بعد، أن الرياضة لا تعتبر دينا بالمعنى المقدس، ولا تستطيع أن تؤدي دور الدين بشكل مثالي، لأن دورها يكون في معظم الأوقات مرتبطا بالتظاهرات المحلية والوطنية، وهي دائما ما تكون خاضعة للبيئة الاجتماعية والثقافية التي ينتمي إليها الأفراد. وكما يقول "جيمس ماتسن" James Mathisen «الرياضة هي أيضا شيء مثل الدين المدني، ولكن ليس تماما»(James Mathisen, 2006, P291)، لأن العلاقة بين الرياضة والدين ليست علاقة بسيطة ومتقاربة من حيث المعنى، فهي تختلف على مستوى التمثلات والتصورات والمواقف والاتجاهات، بسبب أن الدين له علاقة بالمفاهيم اللاهوتية، بينما الرياضة فإنها تقوم على مبدأ أساسي هو اللعب، وهو الأمر الذي يجعل من هذه العلاقة تتميز بعدم الوضوح في كثير من الأحيان.

خامسا. الرياضة في ظل المجتمعات الإسلامية:

يتميز الخطاب الديني في الإسلام أنه يشير إلى العلاقة التي تربط الرياضة بالدين، فهناك بعض الأسانيد (الآيات القرآنية، الأحاديث النبوية، الوقائع التاريخية) التي يتم الاستشهاد بها من طرف الفقهاء والعلماء كأدلة على وجوب ممارسة الرياضة أو التربية البدنية عند الفرد، بهدف التأكيد على أن الجسد القوي في الإسلام هو القادر على أداء التكاليف الدينية والدنيوية، حيث نجد أن هذا النوع من الخطاب الديني منتشرا لدى الدعاة الجدد مثل مصطفى حسني الذي يدعو الإنسان المسلم إلى الاهتمام بجسمه وتنميته من خلال تدريبه على التحمل والصبر والحفاظ عليه بما يقوي الجسد ويجعله سليما، مستشهدا بالأحاديث التي تشير إلى أنواع من الرياضة مثل الرماية والسباحة وركوب الخيل وغيرها، والتي تمثل مادة تربوية وجزءا مهما ضمن التنشئة الدينية، نظرا لأنها تهدف بالدرجة الأولى إلى تأهيل الإنسان وتنمية مؤهلاته الجسدية والنفسية والعقلية، وذلك حتى يكون قادرا على التكيف الإيجابي مع القيم السائدة في المجتمع، كما نجد أن تراث الإسلام غني بالمؤلفات الدينية التي أشادت وأظهرت مكانة الرياضة في الحياة الدينية والدنيوية مثل الفقيه ابن القيم الجوزية الذي أفرد مؤلفا بعنوان "الفروسية"، وقد تضمنت تلك المؤلفات مجموعة من القيم التربوية المرتبطة بأنشطة الرياضة، وينقل لنا الباحث أمين أنور الخولي بأن علماء الإسلام الأوائل كانوا يُنوهون بالرياضة ويمارسونها، فقد «أحب الإمام الشافعي رياضة الرمي بالقوس والسهم حبا جما، كما أشار الإمام أبو حامد الغزالي إلى أهمية أن يلعب الصبي ألعابا جميلة يستريح إليها»(أمين أنور الخولي، 1996، ص150).

وعلى الرغم من أن رجال الدين (الفقهاء والعلماء) في خطابهم الديني يتخذون من بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والوقائع التاريخية التي تشير في نظرهم إلى ضرورة ممارسة الإنسان للأنشطة الرياضية من أجل إبراز أهمية الرياضة في الإسلام، فإن التفكير في العلاقة بين الرياضة والإسلام هو بالضرورة تفكير في مسألة التعارض بين الرياضة والفقه الإسلامي، خاصة في مسألة التمييز ضد المرأة أو تحريم النشاط الرياضي بالنسبة لها، ففي البلدان الإسلامية تتضاعف الفروق الجنسانية بين الرجل والمرأة بالمقارنة مع الدول الغربية بسبب الدين أو الذهنية

القبلية، على الرغم من أن هناك الكثير من العوامل التي تعيق مشاركة المرأة في المسابقات الرياضية، مثل الفقر، وضعف اقتصاد الدول، وعدم استقرار النظم السياسية، إلا أن الدين يبقى أكثر العوامل في عدم تقدم الرياضة النسائية في البلدان الإسلامية، لأنه يقوم في كثير من الأحيان على ما هو صائب وما هو خاطئ، ما هو حلال وما هو حرام، ما هو مقبول وما هو مرفوض. حيث يلاحظ أن بعض العلماء والفقهاء يكافحون في عدم تطوير الرياضة النسائية، ناهيك حتى عن تحريم ومنع المرأة من الحضور إلى الملاعب الرياضية في بعض الدول التي تحكمها أنظمة ثيوقراطية أو قبلية، وهو الشيء الذي يجعل من وضع المرأة في هذه الدول لا يزال بعيدا كل البعد عن وضع المرأة في الدول الغربية، علما أن الرياضة في بعض الدول الإسلامية مثل المغرب وتونس ساهمت في تحرير المرأة وتمكينها من فرض حضورها الاجتماعي والاقتصادي وحتى السياسي.

أما من حيث طبيعة القيم التي تكرسها الرياضة في العالم الإسلامي، فإنها تشكل نوعا من التوافق مع المعتقدات والقيم الدينية، فهناك بعض الأندية الرياضية مثل أندية كرة القدم التي تمنع "اللاعبين" من شرب الخمر ومن ممارسة القمار أو تناول المنشطات أو ممارسة الجنس خارج إطار الزواج وغيرها، وذلك بغية إلزام اللاعبين على احترام النظام الداخلي المعمول به داخل الأندية، وحاجة هذه الأندية إلى الحفاظ على المردود البدني لدى اللاعبين من أجل القدرة على المنافسة في الدوريات والبطولات الكبرى، وفي حالة عدم التزام اللاعب وقيامه بمثل هذه السلوكات، فإن النادي يعمل على اتخاذ إجراءات قاسية ضده مثل منعه من حضور التمارين الرياضية، أو عدم أداء راتبه الشهري، إلخ، وهذه الممارسات التي يقوم بها النادي تنطوي على عناصر واعية وعناصر أخرى غير واعية، فالنادي يمثل مؤسسة اجتماعية، مما يجعله ينظر إلى مثل هذه السلوكات التي يقوم بها اللاعب بأنها غير أخلاقية ومسيئة له وللجماهير التي تشجع النادي. وهذا النوع من الشعور، يستمد من المعايير الدينية المنغرسة في كيان المجتمع بخصوص المقبول والمرفوض.

ونجد في المجتمعات الغربية أن هناك بعض المنظمات والجمعيات الإسلامية التي توظف الرياضة كآلية من آليات التنشئة الدينية بهدف الحفاظ على سمات وملامح الهوية الإسلامية أمام المد الثقافي الغربي. وعلى سبيل المثال، يظهر على الجالية المسلمة بفرنسا أنهم «لا يستفيدون من البرامج الرياضية الحكومية في بناء الهويات الوطنية فحسب، بل يتلاعبون بها أيضا في خدمة الممارسات العرقية والدينية التي كانت الدولة الفرنسية تأمل في تقليصها» (Paul A. Silverstein 2002, P48) عن طريق بعض المبادرات التي تم توجيهها نحو الأطفال. وقد قامت بعض المنظمات والجمعيات الإسلامية التي تم تكوينها بفرنسا بتأسيس النوادي والفرق الرياضية وإنشاء المخيمات الصيفية، وتنظيم المسابقات الرياضية الخاصة بالأطفال من أجل استقطاب هذه الفئة والعمل على إدماجها في الحياة الدينية تحت ذريعة تحصينها من الانحراف الاجتماعي، وإعدادها على المستوى البدني، والنفسي، والأخلاقي والعلمي، علما أن الرياضة في كثير من الأحيان ليست وسيلة حيادية للبعض، فهي أيضا وسيلة ممتازة في تعزيز الولاء لقضية دينية أو سياسية.

ونلاحظ أن مشاهير الرياضة في العالم الإسلامي يلعبون دورا مهما في تعزيز الهوية الدينية لدى الكثير من الأفراد والجماعات، وخصوصا مشاهير كرة القدم، ويتجلى في انتشار العديد من الصور واللقطات المرئية التي تُبينهم في لحظة أداء الدعاء قبل بداية المباراة، أو في لحظة سجودهم بعد تسجيل الأهداف أو عند تحقيق الألقاب والبطولات. وعلى سبيل المثال، نجد أن «الشباب الإسلامي الفرنسي، الذي بدأ نشاطه الرياضي في المدارس الفرنسية، لا يزال مرهونا بالصور البطولية للرياضيين المسلمين في شمال إفريقيا على الساحة الدولية»(Paul A.

(Silverstein, 2002, P48) مثل التونسي صبري لموشي Sabri Lamouchi والمغربي مصطفى حجي Mustapha Hadji الذين عبروا بافتخار، وفي أكثر من مناسبة، عن هوياتهم العرقية والدينية أمام العديد من وسائل الإعلام المحلية والوطنية والدولية.

إن من أهم النتائج التي يمكن استخلاصها في هذه المقالة، أن العلاقة بين الدين والرياضة تمثل اجتماع المقدس بالمدني. وأن العلاقة بين الرياضة والدين، يمكن تتبعها منذ العصور القديمة قبل الميلاد، وحتى وقتنا الحاضر. غير أن الرياضة ليست دينا بنفس الطريقة التي تقوم عليها الممارسة الدينية لدى المتدينين من المسيحيين والمسلمين. فالرياضة تمثل لدى علماء الاجتماع ما يصطلح عليه بالدين المدني الذي يميز المجتمعات الغربية. ومع ذلك، من الصعب القول بأن الرياضة ديانة، أو على الأقل، شبه دين، لأن الدين مرتبط أساسا بالروحاني أو بالإيمان، وهذا الأمر هو أكثر ما يسود في المجتمعات الإسلامية التي ترى في الرياضة فقط، مجرد وسيلة ممتازة لخدمة الدين والحفاظ على استمراره.

خاتمة:

يأتي اهتمام السوسيولوجيا بموضوع الرياضة، لأنها تلعب دورا مهما في إنتاج العديد من القيم التي تعبر عن القوة والتنافس والسيطرة، وهي تعكس مجموعة من الاتجاهات والمعايير والقيم الخاصة بثقافة مجتمع من المجتمعات الإنسانية. وما يجعل من الرياضة موضوعا للتفكير السوسيولوجي هو مساهمتها بشكل أو بآخر في إنتاج القيم الاجتماعية التي تقوم على التعاون والعمل الجماعي والتفاني في العمل، وهي قيم تعزز شخصية الأفراد وتحقق لهم التميز الشخصي.

كما أن الرياضة تستمد معاييرها وقيمها من المجتمع والدين، وتعتبر الرياضة في المجتمعات الغربية مؤسسة اجتماعية بالدرجة الأولى، حيث يراها العديد من الباحثين المهتمين بالدراسات الدينية شكل من أشكال الدين المدني، غير أنه لا يمكن بطبيعة الحال، أن نعتبرها بديلا عن الدين، فهناك بعض الأديان مثل الإسلام لا تزال تعمل على توفير التماسك الاجتماعي، بالإضافة إلى أن العلاقة بين الرياضة والدين في العديد من المجتمعات الإسلامية مختلفة نظرا لأن الدين يعتبر المؤسسة الأولى في التنشئة الدينية للأفراد.

قائمة المراجع:

1. الخولي، أمين أنو(1996)، الرياضة والمجتمع، ع216، ديسمبر، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

2. ريفيير، كلود(2015)، الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، ترجمة أسامة نبيل، اط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، المصر.

3. Callède, Jean-Paul(2010), La sociologie française et le sport ; La revue pour l'histoire du CNRS, (26) ; 30 novembre.

4. Craig, Peter & Beedie, Paul(2010), Sport Sociology, Second edition : LearningMatters.

5. Mathisen, James(2006), Sport. In Handbook of religion and social institutions, ed. H.R. Ebaugh, New York: Springer.

6. Silverstein, Paul A(2002), Stadium politics Sport, Islam and Amazigh consciousness in France and North Africa. With God on their Side Sport in the Service of Religion ; ed : Tara Magdalinski & Timothy J.L Chandler; Routledge : London .

7. Slusher , Howard(1967), Man, sport, and existence : a critical analysis ; Philadelphia: Henry Kimpton

8. Yamane, David & E Mellies, Charles & Blake, Teres(2010), Playing for whom? Sport, Religion, and the Double Movement of Secularization in America. Sociology of sport and social theory ; ed : Earl Smith ; Human Kinetics, United States.